المعالجات اللغوية للمشكلات الفكرية والعقائدية المعاصرة

الدكتور
وليد جبار إسماعيل

الدكتور
عبد الكريم علي عمر

المستخلص

لا يخفى على كل دارس العلاقة الوثيقة بين اللغة العربية وسائر العلوم الأخرى، ومن أهم هذه العلوم، علم العقيدة الذي هو أساس التكليف، ومدار المفاهيم الدينية، وحاجة المجتمع في كل زمان ومكان لهذا العلم لا تنفك أبدا، وتعظم وتكبر حينما يكون هذا العلم داعماً للغة العربية، من خلال إبراز أثرها في العقيدة في أيام تكثر الهجمات الفكرية والعقائدية على هذا الدين ولغته.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وافضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين.

وبعد

لا يخفى على كل دارس العلاقة الوثيقة بين اللغة العربية وسائر العلوم الأخرى، ومن أهم هذه العلوم، علم العقيدة الذي هو أساس التكليف، ومدار المفاهيم الدينية، وحاجة المجتمع في كل زمان ومكان لهذا العلم لا تنفك أبدا، وتعظم وتكبر حينما يكون هذا العلم داعماً للغة العربية، من خلال إبراز أثرها في العقيدة في أيام تكثر الهجمات الفكرية والعقائدية على هذا الدين ولغته.

إذ ان أعداء الدين ومنذ عهد بعيد اخذوا على عاتقهم دراسة لغة القرآن – اللغة العربية – فوجدنا منذ عصور متقدمة آثار هذه الدراسات والمؤلفات التي كانت في عواقبها تروم الطعن في الدين الإسلامي والعقيدة حيث وصلنا في وقتنا الحاضر إلى هجمات علنية لتغييب الهوية العربية وتغييب اللغة بكل دلالاتها ومنها ضرب الفصحى بين أبنائها ومنها إلغاءها بين المتكلمين بها، فهناك الهجمات الفكرية والتي من خلالها تشوه العقيدة ورأينا الكثيرين ينزلقون في هذا المجال وبناءاً عليه قمنا بإظهار المعالجات اللغوية للمسائل العقائدية.

والهدف من هذا البحث كما هو واضح مما سبق هو التصدي لكل الشبه والأفكار البعيدة عن الإسلام، بلغة عربية أصيلة بعيدة عن أي تعقيد او غموض، المنبثقة عن حضارتنا وهويتنا الإسلامية.

فقسمنا البحث إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: في مفهوم التأويل الفكري المعاصر.

المبحث الثاني: السهولة والتيسير في إيصال المسائل العقائدية.

المبحث الثالث: التوصيف الادائي عند المتكلمين.

المبحث الرابع: موقف المتكلمين من الفصحى.

ثم اتبعنا هذا البحث بخاتمة في أهم ما توصلنا إليه من نتائج.

ولابد من الإشارة إلى ان أهم المصادر التي كان لها الأثر في إثراء هذا البحث علمياً وفكرياً، كتاب العلامة السيد الشريف الجرجاني شرح المواقف في علم الكلام لعضد الدين الايجي، ومن الكتب الفكرية والعقائدية المعاصرة، كتاب العقيدة الإسلامية للشيخ عبد الرحمن حبنكة، وكتاب العقيدة الإسلامية للدكتور مصطفى سعيد الخن والدكتور محيي الدين ديب، فضلاً عن كتاب كبرى اليقينيات الكونية للدكتور محمد رمضان البوطي.

المبحث الأول

مفهوم التأويل الفكري المعاصر

يُعد مفهوم التأويل مصطلحاً قديماً عند اللغويين والنحاة، إذ يقول ابن فارس: والهمزة والواو واللام أصلان، تأويل الكلام وهو عاقبته، وما يؤول إليه، وذلك لقوله تعالى: **((هل ينظرون إلا تأويله))**[١] وهو ابتداء الأمر وانتهائه[٢].

وقول ابن منظور:– الأول الرجوع، وأوّل الكلام وتأويله، دبره وقدره[٣].

ومن جهة أخره فقد عده اللغويّون من أنواع المُشكِل، فهو الّذي يأتيه الإشكال لاشتراك اللفظ.

وأما التأويل عند النحويين، فهو امتداد لمدلوله اللغوي[٤].

وتناول الكلاميّون التأويل بصورة واسعة، فكان التأويل من أهم مظاهر المتكلمين قديما وحديثا، حيثُ دارت حوله مسائل ومباحث كلاميّة من أبرزها، النصوص المتشابهات في صفات الله تعالى، حيث وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة نصوص كثيرة تصِف الذات الإلهية بما هو من صفات المخلوقين، كالنزول والمجيء والوجه واليد والعين وغير ذلك، والسؤال الذي وقف عنده كثير من المتكلمين هو هل هذه الأمور المنسوبة إلى الله تعالى في القرآن والسنة، صفات لله تعالى وفق حقيقة ألفاظها العربية المتصورة في أذهان الناس، أم هي صفات لله تعالى وفق حقيقة كلية تدل عليها هذه الألفاظ العربية، ولا تشبيه فيه ولا تجسيم، أو أنها صفات لله تعالى مستعملة في حقائق ألفاظ أخرى مسماة في لسان الشرع بهذه الأسماء لا نعلم حقيقتها على وجه التحديد، أو أنها مستعملة لمعانٍ غير المعاني الظاهرة منها على وجه من وجوه المجاز فتأول هذه المعاني إلى مفاهيم لغويّة بعيدة عن ظاهرة المسموع، وفقاً لأهل اللغة العربية من أن الألفاظ لها معاني حقيقية ظاهرة وفيها معانٍ مجازية غير ظاهرة لأوّل وهلة[٥].

فهذا هو ملخص الكلام عند المتكلمين بكل تياراتهم وأفكارهم، والّذي يخصنا من كل ما سبق هو فكرة تأويل هذه النصوص وفقا للغة العربية ومعانيها في سياق تركيبها في الجملة.

---

[١] سورة الأعراف: آية ٥٣.

[٢] مقاييس اللغة: ابن فارس، ص٨١–٨٢.

[٣] لسان العرب: ابن منظور، ١١/ص٣٣.

[٤] التأويل النحوي: علي ابو المكارم، ص٢٣.

[٥] العقيدة الإسلامية: عبد الرحمن حبنكة، ص٢١٦.

ولابد من الإشارة قبل أن نتكلم بهذا الموضوع بالتفصيل إلى أن فكرة تأويل هذه النصوص الواردة بالشرع (**القرآن والسنة**) لم تكن عند أهل السنة من الأشاعرة فقط، بل حتى المدرسة الاعتزالية كان فيها هذا المفهوم، فالمدرستان تتفقان معا في تأويل هذه النصوص، مع تعارضهما في الكثير من الأفكار الكلاميّة[١].

ولنأخذ أمثلة توضح فكرة التأويل والمراد بها عند المتكلمين:

أ- في إضافة (**اليد**) إلى الله تعالى تجد قوله ((**وقالت اليهود يد الله مغلولة..... بل يداه مبسوطتان**))[٢].

وقوله تعالى خطاباً لإبليس حين أبى السجود لآدم ((**ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي**))[٣]

وقوله ((**إن الذين يبايعونك إنما يبيعون الله يد الله فوق أيديهم**))[٤] فما يتصل بهذه الآيات التي جاء فيها ذكر اليد على سبيل الإفراد أو التثنية مضافة لله تعالى، نرى المتكلمين يجعلونها تارة كناية عن وصف الله بالكرم كما في آية المائدة، بل يداه مبسوطتان، وتارة كناية عن النعمة والنصرة كما في آية الفتح،يد الله فوق أيديهم، أي نعمة الله على الذين بايعوا الرسول أكبر من نعمتهم هم على الرسول بمبايعته، أو نصرة الله إياهم أقوى وأعلى من نصرتهم إياه، وتارة يراد بها القوة والقدرة في الآية التي فيها ذكر أن الله خلق آدم بيديه[٥].

ب- مثلا في الوجه نجد قوله تعالى((**كلّ شيء هالك إلاّ وجهه**))[٦] وقوله ((**ويبقى وجه ربك**))[٧] وقوله((**إنما نطعمكم لوجه الله**))[٨].

فقد أوّل المتكلمون الآيات التي جاء فيها ذكر الوجه كلها بالذات نفسها.

مستندين إلى اللغة العربية، من أن الذات هو بعض ما يراد لغة بالوجه، وإلى هذا ذهب الزمخشري حيث قال: والوجه يعبر به عن الجملة والذات، ومساكين مكة يقولون أين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان[٩].

---

[١] القرآن والفلسفة: محمد يوسف، ص٦٧.
[٢] سورة المائدة: آية٦٤.
[٣] سورة ص: آية ٧٥.
[٤] سورة الفتح: آية ١٠.
[٥] تفسير الرازي: ٨/ ص١٧ و ٥/٦٤٤.
[٦] سورة العنكبوت: آية ٨٨.
[٧] سورة الرحمن: آية ٢٢.
[٨] سورة الإنسان: آية ٢٩.
[٩] تفسير الكشاف: الزمخشري ج٤ /ص٥١.

جـ- وكذلك في معنى الاستواء في قوله تعالى((**الرحمن على العرش استوى**))[١] نجد أقوال المتكلمين في تفسير معنى الاستواء في هذه الآية مستندين لمعانيها في اللغة العربية، فمن فسر الاستواء بمعنى الاستيلاء مستشهدين بقول الشاعر:

قد استوى بشرٌ على العراقِ من غيرِ سيفٍ ولادَمٍ مهراق[٢].

أو يراد بالاستواء القصد كقوله تعالى ((**ثمّ استوى إلى السماءِ وهي دخان فقال لها وللأرضِ إئتيا طوعاً أو كرهاَ قالتا أتينا طائِعين**))[٣] وقد توقف بعض المتكلمين في تفسير معنى الاستواء مع القطع بأنه ليس كاستواء الأجسام[٤].

فهذه أمثلة بسيطة على اعتماد اللغة العربية ومعانيها في تأويل هذه الآيات في القرآن الكريم، وكل هذا يعزز دور اللغة في فهم المتكلمين، ويجمع الكلام في تأويل هذه الآيات وغيرها من النصوص،ما قاله السيد الشريف الجرجاني في معرض كلامه في النصوص المتشابهات في صفات الله تعالى حيث قال:- ومن كان له رسوخ قدم في علم البيان حمل أكثر ما ذكر من الآيات والأحاديث المتشابهات على التمثيل والتصوير، وبعضها على الكناية، وبعضها على المجاز مراعيا جزالة المعنى وفخامته ومجانباً ما يوجب ركاكته، فعليك التأويل فيها وحملها على ما يليق بها[٥].

وهذا ما تبناه المفكرون المعاصرون من أمثال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي وغيره، من أن مدرسة التأويل هي الّتي رسّخت مفهوم العقيدة الصحيحة عند المسلمين لأن المصير الذي لا يمكن التحوّل عنه بسبب ما قامت فيه من المذاهب الفكرية والمناقشات العلميّة، وبسبب ظهور البلاغة العربية مقعدة في قواعد من المجاز والتشبيه والاستعارة، وأن عدم التأويل المتمثل بمذهب السلف في عصرهم كان هو الأفضل والأسلم، إذ كان العصر عصر إيمان ويقين راسخين، بسبب قرب العهد بعصر النبوة، ولكن لم يكن بوسع الأئمة الذين قاموا في عصر التدوين وازدهار العلوم العربية والإسلامية واتساع حلقات البحث وفنون البلاغة أن يسلموا ذلك التسليم دون أن يحللوا هذه

---

(١) سورة طه: آية ٥.

(٢) المواقف: الايجي، ص٢٩٧.

(٣) سورة فصلت: آية١١.

(٤) شرح المواقف: الجرجاني، ج٨/ص١١١.

(٥) المصدر نفسه ج٨/ص١١٤.

النصوص على ضوء ما انتهوا إليه من فنون البلاغة والمجاز وخصوصاً وان فيهم الزنادقة الذين لا يقنعهم فهم التسليم[١].

والتأويل عند المتكلمين لم يقتصر على الصفات الخبريّة، بل دخل في كثير من المسائل الفكريّة، حيث نجد أن كل واحد من أصحاب المذاهب يدّعي أن الآيات الموافقة لمذهبه محكمة، وأن الآيات الأخرى الموافقة لقول خصمه متشابهات، فلا بد من تأويلها حسب تلك اللآية، فالمعتزلي يقول مثلاً: قوله تعالى((**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**)) محكم، وقوله((**وما تشاؤون إلاّ أن يشاء الله ربّ العالمين**)) متشابه، والسنّي يقلب الأمر في ذلك، ومعنى هذا انّ الآية الأولى ناطقة بمذهب المعتزلة الذي هو حرية الاختيار، وأن الأخرى الثانية صريحة في مذهب أهل السنّة[٢].

ومثلا آخر جاء في القرآن قوله: ((**وجوه يومئذٍ ناظرة إلى ربّها ناظرة**))[٣]

وهذا يدل بنصّه على أنّ الله يُرى بالعين في الدار الآخرة، كما هو مذهب أهل السنّة، ولكن جاء في القرآن أيضا موضع أخر قوله ((**لاتدركه الأبصار**))[٤] وهذا بظاهره صريح في نفي جواز ان يرى الله بالعين في أي حال وآن، وكان من ذلك ان رأى أهل السنة أن هاتين الآيتين محكمتان فيدلان قطعا على جواز رؤية الله في حين رأى المعتزلة العكس، وتبع هذا انّ أول كل فريق الآية التي لا تدل لمذهبه، بعد أن جعلها من المتشابه، لتتفق مع الآية الأخرى التي تتفق ومذهبه، والتي جعلها لهذا محكمة[٥].

فهذا وغيره من الأمثلة يدل على أن المتكلمين بكل مذاهبهم استخدموا اللغة العربية ومفهوم التأويل في تدعيم ما ذهبوا إليه من أفكار وآراء كلاميّة، من رد المتشابه إلى المحكم اعتمادا على القواعد اللغوية مستندين لتلويحات وتصريحات من الكتاب والسنّة.

فيتضح مما سبق أن أثر اللغة غير مقتصر على مسألة واحدة، بل اثر اللغة يدخل في كل ميادين التيارات الفكريّة، وللغة الأثر الكبير في نشوء الفرق الإسلاميّة، وأنّ كل مذهب يدعم توجيهاته وآرائه وفقاً لمعاني اللغة العربيّة التي نزل بها القرآن الكريم.

---

[١] كبرى اليقينيات: محمد رمضان البوطي، ص ١١٦.

[٢] القرآن والفلسفة: محمد يوسف، ص٦٥.

[٣] سورة القيامة: آية ٢٢-٢٣.

[٤] سورة الأنعام: آية ١٠٣.

[٥] القرآن والفلسفة: محمد يوسف، ص٦٦.

وأما مفهوم التأويل الّذي هو مدار هذا المبحث فقد أعتمد عليه العلماء قديما وحديثاً في الرد على كل الأفكار والشبه الضالة التي تطعن بهذا الدين الحنيف وتبعد المسلم عن الوقوع في الشرك والكفر ومعاني التشبيه والتجسيم.

المبحث الثاني

السهولة والتيسير في إيصال المسائل العقائدية

يمكن دراسة هذا المبحث باتجاهين:

الأوّل: في عرض ما قدّمه القدماء من تصانيف.

الثاني: في دور المعاصرين في توضيح المعاني العقائدية.

اما الاتجاه الأول، فقد وجدنا أن المكتبات الإسلامية زاخرة بآلاف المصنفات الكلاميّة التي تشرح مفهوم العقيدة الإيمانيّة، غير أننا نلاحظ أنّ هذه المؤلفات محشوه في غالب أحيانها بالغرابة أو الإفراط في استخدام اللغة الفلسفيّة التي يصعب على القارئ فهمها وتقبلها، لما فيها من صعوبة في الطرح الفكري وهذا يؤكده علماء الكلام المتأخرين، من أمثال العلامة الأيجي (ت٧٥٦ هـ-١٣٥٥م)، والسعد التفتازاني (ت٧٩٢هـ١٣٨٩م)، والسيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ- ١٤١٣م) وغيرهم.

فنراهم قد أفرطوا في استخدام اللغة الفلسفيّة والجمل المعقدة في إيصال معنى العقيدة الإسلاميّة، فمثلاً حينما يريد العلامة الأيجي ان يرد على القائلين بأن مفهوم الوجود كسبي، أي ان معناه يحتاج إلى تعريف، وليس هو من المفاهيم البديهيّة كما تبنّى ذلك الأيجي وغيره يقول: لانسلّم أنه -أي الوجود- إذا كان عارضا للماهيّة عُقِلَ تبعا لها إذ قد يتصوّر مفهوم العارض دون ملاحظة معروضه[١].

وهذا السعد التفتازاني حينما يريد ان يوضح معنى البقاء، الذي هو صفة لله تعالى يقول: إنّ البقاء استمرار الوجود وعدم زواله، وحقيقة الوجود من حيث النسبة أي الزمن الثاني[٢].

ومثال آخر يؤكد إفراط المتأخرين من علماء الكلام بالأسلوب الفلسفي ومفاهيمه في كتب علم الكلام للسيد الشريف الجرجاني وهو يشرح معنى الحدوث الذاتي والزماني فيقول:- إذا اعتبر تقدم العدم كان الحدوث زمنياَ، لامتناع اجتماع المتقدم والمتأخر، وإذا اعتبر تقدم غير العدم، وهو العلة كان الحدوث ذاتياَ شاملاَ للممكنات بأسرِها[٣].

---

[١] المواقف: الايجي، ص ٤٥.

[٢] شرح النسفيّة: التفتازاني، ص ٦٨.

[٣] شرح المواقف: الجرجاني ج٤/ ص٥.

فنلاحظ مما تقدم وغيره للمُطّلع على كتب هؤلاء الأعلام، صعوبة فهم تعابيرهم الكلاميّة، بسبب اللغة التي وظّفت لتوضيح معنى العقيدة، لغة فيها من التعقيد والدّقة المتناهية الشيء الكثير ولهذا نجد الكثير من الشروح والحواشي والتعليقات والنكت على ما دوّنه هؤلاء الاعلام وغيرهم من المتأخّرين في علم الكلام، فمثلاً نرى على كتاب شرح النسفية للعلامة التفتازاني ما يزيد على ثلاثين شرحا وحاشية لتوضيح مراده من كلامه لصعوبته[١].

ونفس الحال بالنسبة لكتاب المواقف للعلامة الأيجي وشرحه للسيد الشريف الجرجاني، حيث وجدنا أكثر من ثلاثين حاشية وتعليق على شرح المواقف وحده[٢].

فكل هذا يؤكد صعوبة لغة المتأخرين من الأعلام في مصنفاتهم التي دونوا فيها أفكارهم ومفاهيمهم العقائدية، مما يعطينا الدليل الواضح عن سبب ابتعاد الكثير من المسلمين البسطاء عن فهم عقيدتهم، وعدم وجود مناهج سهلة وميسرة في إيصال العقيدة لهؤلاء الناس، ومن تصدى لتوضيح العقيدة الإسلاميّة التي جاء بها القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة بلّسان عربي مبين قد صبغ كلامه بالكثير من المعاني الفلسفيّة، إضافةً إلى اللغة الصعبة، ولم يقتصر النفور على المسلمين البسطاء، بل وجدنا الكثير من العلماء والمتكلمين أنفسهم ينفرون عن بعض هذه المؤلفات الّتي صُبغت بطابع الفلسفة، والّتي لم تستخدم اللغة السهلة في إيصال معنى العقيدة[٣].

وهذه الصعوبة في التعبير عن العقيدة الإسلاميّة عند المتأخرين، لانجدها عند المتقدّمين من أمثال الإمام الأشعري المؤسس للمدرسة الأشعريّة (ت٣٢٤هـ- ٩٣٦م) ولاعند الإمام الماتريدي (ت ٣٣٣هـ- ٩٤٤م) ولاعند الإمام الباقلّاني (ت٤٠٣ هـ- ١٠١٣م) وغيرهم من فحول علماء الكلام في عصرهم وإلى يومنا هذا، حيث وجدنا أن كتبهم كانت واضحة وسهلة الوصول للقارئ، وتعابيرهم ليس فيها التعقيد الفلسفي مع شمولها على الكثير من المباحث الفلسفيّة.

ولهذا وجدنا كتب المتقدمين ليس عليها الكثير من التعليقات أو الشروح أو الحواشي كما هي عند المتأخرين، مما يعطينا الدليل على سلامة اللغة وسهولة التعبير في إيصال المعلومة للقارئ.

فمما تقدم يتضح لنا سبب عزوف الكثير من المسلمين المعاصرين عن تصفح وقراءة كتب المتأخرين في علم العقيدة، إضافة إلى قلّة الوعي الفكري عند المسلمين في القرون المتأخّرة، مما دفع الأفكار الهدّامة والمعادية للإسلام والمسلمين لنخر المجتمع الإسلامي وتضعيفه إلى حد أننّا وجدنا في

(١) التفتازاني ومنهجه في شرح النسفيّة: وليد جبار، ص ٦١.

(٢) اختيارات الجرجاني الكلاميّة:وليد جبار، ص ٤٨.

(٣) اختيارات الجرجاني الكلاميّة: وليد جبار، ص ٤٨.

بدايات الغزو الاستعماري والإستشراقي تقبل البعض لتلك المفاهيم لعدم وجود الدعامة الأساسيّة لحمايتهم من تلك الأفكار والمعتقدات البعيدة عن الإسلام، من تخلّي أهل الكلام والفكر عن توضيح الأفكار الإسلاميّة بلغة سهلة بسيطة.

وأما القسم الثاني، من هذا المبحث فهو في دور المعاصرين في توضيح المعاني العقائدية والكلاميّة حيث وجدنا أغلب المعاصرين ممن ألفَ وكتب في علم العقيدة استخدموا الأسلوب السهل واليسير في إيصال المعاني الكلاميّة، وبلغة عربيّة بسيطة التي من خلالها يستطيع الفرد فهم عقيدته بدون أي غموض أو تعقيد، فهذا الشّيخ عبد الرّحمن حبنّكة أحد المعاصرين من أهل الكلام يقول في مقدمة كتابه العقيدة الإسلاميّة:– ولما كانت العقيدة الإسلاميّة في مركز الحق لاتشوبة شائبة –وليس بعد الحق إلاّ الضلال– كانت حرّية بعرضها على الفكر الإنساني عرضا خالياً من التعقيد، بعيداً عن المصطلحات الكثيرة، سهلاً ميسراً مناسبا لمختلف مستويات البشر، لتكون الأساس الإصلاحي الأوّل للناس كافّة[١].

ويبيّن ذلك العالمان الجليلان الدكتور مصطفى سعيد الحسن والدكتور محيي الدين ديب في كتابهما –العقيدة الإسلاميّة– عن أهم الضوابط التي اعتمدوا عليها، هي استخدامهما اللغة العربيّة السهلة في التعبير عن المسائل الكلاميّة، حيث قالا: اخترنا السهولة في اللفظ والوضوح في الأسلوب، وأبقينا على الصِلة قائمة مع الكتب والمصادر القديمة واقتبسنا مقاطع وفقرات من تراث الأسلاف لنزيل الوحشة وننفي الغرابة عن صفحات كتب أمّهات، قدّمت في وقتها خدمات جليلة في عرض أصول العقيدة الإسلاميّة[٢].

ويضيف الدكتور مصطفى الخن والدكتور محيي الدين ديب، أنّ كتب الأيجي وغيره من العلماء المتأخّرين تظهر في أسلوب عرضها ولغتها الصعبة في عصرنا غريبة وعسيرة، وسط موجة التحديث والمعاصرة التي تحققت لفروع العلوم الشرعيّة، بالإضافة إلى أنّ هذه الكتب كانت تدرس من قبل علماء متخصصين ومتقنين، ولعدد محصور من الطلاب المتفوقين الذين تدرّجوا في مراحل الدراسة[٣].

---

(١) العقيدة الإسلاميّة: عبد الرحمن حبنكه، ص١٠.

(٢) العقيدة الإسلامية: مصطفى الخن ومحي الدين ديب، ص ٩.

(٣) المصدر نفسه: نفس الصفحة.

ومما سبق ذكره يؤكده الفكر الإسلامي المعاصر الدكتور محمد رمضان البوطي في كتابه –كبرى اليقينيّات[1].

فهذه أمثلة بسيطة على المفكرين المعاصرين في تأكيدهم على ترسيخ العقيدة الإسلاميّة بأسلوب لغوي بعيد عن التعقيد والغموض وسهل للقارئ في وصوله إلى فكره وعقله، ولهؤلاء المفكّرين وغيرهم الأثر الكبير في الصحوة الفكريّة والعقائدية التي نعيشها اليوم، مما يعطينا الدليل الواضح على ان اللغة السهلة والبعيدة عن التعقيد تؤثر في كل فرد من أفراد المجتمع، وتبعثه على إصلاح واقعه ومجتمعه.

---

[1] كبرى اليقينيات: محمد رمضان البوطي، ص٢٤.

المبحث الثالث

التوصيف الأدائي عند المتكلمين

ينطلق علماء الكلام في هذه المسألة من كون أمور العقيدة مبنية على الأدلة النقلية الصحيحة التي لاتقبل الاجتهاد، فلا يدخلها شك ولا ظن، لذلك فالإنسان اما ان يكون مسلماً او غيره **((ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين))**[١] اللهم الا أمورا تقرب العبد من (الإسلام) او اموراً تقرب العبد من الكفر – والعياذ بالله – فظهر لدينا مصطلحات مثل: فاسق عاص، وغير ذلك من الاصطلاحات الفقهية كونها محط نظر واجتهاد، لذلك يصح ان يوصف الكافر بأنه فاسق، وظالم كما في الآية **((والكافرون هم الظالمون))**[٢] ويوصف المسلم بأنه عاص وفاسق وظالم، وسارق، وهكذا.

إذ الذات واحدة ولكن الصفات تعرض عليها، حيث يقول اللغويون ان الصفات هي عبارة عن ذات وصفة.

وبناءاً على ما تقدم وضع أهل الكلام حدوداً فاصلة تجعل العبد داخلاً او خارجاً من عقيدة الإسلام وهذه الحدود محكومة بالأداء الكلامي او الأداء العملي – الحالي والفعلي – من العباد، ونقصد بذلك ما تدل عليه عبارات المتكلمين حينما يعرفون بمصطلحات (الكفر والردة والشرك).

فالكفر: عدم تصديق الرسول ببعض ما علم مجيئه به ضرورة[٣].

والردة: قطع استمرار الإسلام ودوامه[٤].

والشرك: هو اتخاذ ندٍ لله في الذات او في الصفات او في الأفعال او في العبادات[٥].

فنلحظ من هذه التعريفات ان مراد المتكلمين يشمل ناحيتين:

الأولى: التلفظ او التكلم بألفاظ تؤدي إلى أحد هذه الأحكام الثلاثة.

والثانية: فعل الشخص وحاله وعمله أيضا يظهر منه ويفهم منه ما يؤدي إلى نفس الحكم.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٤.

(٣) المواقف: الايجي، ص٣٨٨.

(٤) العقيدة الإسلامية: د.مصطفى سعيد الخن ومحي الدين ديب، ص٥٥٧.

(٥) المصدر نفسه: ص٥٦٧.

ولا شك ان اللغة تحمل في طياتها هذين الجانبين، فاللغة منطلقاً هي ما يفهم منه حدث او صفة او ظرف وغير ذلك فهي بهذا المعنى اعم من تعريف اللغة الخاص بالأصوات والتكلم، اما تعريف اللغة بأنها: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[١]، فهو يلتقي مع ما يعبّر عنه المتكلمون بـ (المكفرات القولية) كما سيأتي.

ولو أمعنا النظر في بطون المصنفات العقائدية لظهر لنا جلياً انهم يصرحون بأن الخروج من ربقة الإسلام يكون بالفعل والقول، إذ قد لخص الامام الطحاوي هذه المكفرات وسماها المكفرات الاعتقادية والمكفرات القولية والمكفرات العملية في كتابه المشهور بالعقيدة الطحاوية وبناءاً على هذا يقول في مواضع منه: (ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي ﷺ، معترفين، وله بكل ماقاله واخبر مصدقين)[٢].

وقد أوضح شارح الطحاوية مشيراً إلى هذين الجانبين أيضا حيث قال: فمن أنكر شيئاً من القرآن او السنة النبوية الشريفة المتواترة، او رسالة رسول مجمع على بعثته ورسالته كفرناه، واحتقار المصحف او المسجد او النبي ﷺ كفر – والعياذ بالله – [٣] فقول الشيخ يدل على ان الإنكار والاحتقار قد يكون باللفظ والتكلم وقد يكون أيضا بالفعل والاعتقاد.

ولا يخفى ان ما عالجه المتكلمون عن طريق الفهم اللغوي قديماً، قد تنبه إليه المحدثون والمعاصرون أيضا، إذ ان هذا الامر الخطير بات مرضاً من أمراض البعد عن اللغة الذي بات منتشراً بين كثير من الأفراد بمجرد انفعالهم من امر بسيط إذا بهم يطلقون هذه الألفاظ دون اعتبار او مبالاة، وهذا الإهمال للأقوال هو جهل بالألفاظ اللغوية ذات الأصل الفصيح والاستعمال السليم ودلالاتها المتنوعة، وكل ذلك له اثر في عدم توثيق العقيدة لدى أفراد المجتمع، فالحفاظ على اللغة من شأنها الحفاظ على المجتمع وتماسكه من خلال الربط بين هذين الجانبين العظيمين (العقيدة) و (اللغة العربية).

---

[١] الخصائص: ابن جني الموصلي ج١ ص ٢٥-٢٦.

[٢] العقيدة الطحاوية: ابو جعفر احمد بن محمد بن سلامة المصري الطحاوي (ت٣٢١) ص٧٠، وينظر العقيدة الاسلامية ص٥٧٩.

[٣] اللطائف الربانية في شرح العقيدة الطحاوية: الشيخ محمد ياسين عبد الله الموصلي، ص ٧١.

أما المكفرات التي تكون بسبب التلفظ والتكلم فقد أولى لها العلماء من أهل الكلام اهتماماً بالغاً إذ نجدهم يفردون لهذه الكلمات التي تخص ذلك في مصنفات مستقلة، كما هو الحال عند الامام بدر الرشيد في كتابه ألفاظ الكفر[١].

وقد حظيت أقسام المكفرات بالتوضيح والتعريف، فالمكفرات القولية هي: كل قول فيه اعتراف بعقيدة مكفرة او فيه جحود في عقائد الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة، او فيه استهزاء بالدين في عقائده واحكامه ومن ذلك سباب الخالق سبحانه أو سباب الرسل، أو سباب أي واحد منهم أو الكتب السماوية أو واحد منها، أو الدين الرباني الحق، ونحو ذلك[٢].

وأما المكفرات العملية[٣] فهي كل عمل يعد إمارة ظاهرة على عقيدة مكفرة، كتمزيق المصحف مع قرينة الإهانة او إلقائه في القاذورات وكالسجود لصنم مع قرينة الاحترام وكتعليق الصليب على الصدر، و وضع كل ما هو من إشارات الكفار الخاصة مع قرينة التعظيم والاستحباب[٤].

ومما يلحق بالجانب اللغوي والفعلي، الجانب الذي يسمى بالمكفرات الاعتقادية، إذ عرفها المتكلمون: بأنها كل عقيدة تخل بركن من أركان الأيمان، او تخالف أي معتقد من المعتقدات القاطعة الثابتة بيقين[٥].

ومنها الردة، إذ هي في اللغة العودة والرجوع عن الشيء، وسمي المرتد مرتداً لانه رد نفسه إلى كفره[٦].

---

[١] الفاظ الكفر: محمد بن اسماعيل بن محمود بن الرشيد، مخطوطة في مكتبة اوقاف نينوى، ص١. وينظر في تاريخ الادب العربي لبروكلمان ج١١ ص٣٠٨.

[٢] العقيدة الاسلامية: حبنكة، ص٦١٩.

[٣] حرية الاعتقاد في ظل الاسلام: د. تيسير خميس العمر، ص٢٤٦.

[٤] العقيدة الاسلامية: حبنكة،ص ٦٢٠.

[٥] المصدر نفسه، ص٦٢١.

[٦] ينظر مقاييس اللغة: ابن فارس، باب الراء. ص٣٨٦.

وفي اصطلاح المتكلمين قطع استمرار الإسلام ودوامه، بنية او قول كفر او فعل، سواء قاله استهزاءاً اوعناداً او اعتقاداً[١] ويلحظ من هذا التعريف ان الردة قد تحصل بمجرد اعتقاد خاطئ، وكذلك الحال في ما يدخل تحت أصناف الشرك بالله اعتقاداً.

ولكي نوضح دور علماء العقيدة في توظيف التوصيف الادائي في دراستهم وأفكارهم، نقول ان المتكلمين في مباحثاتهم وازنوا هذا المعنى مع الألفاظ التي يتكلم بها الناس ويعتقدون بها، هل تخرج هذه الألفاظ صاحبها عن الإسلام؟ فمثلاً إذا قال معتزلي (فعل الاصلح واجب على الله) هذا الكلام والاعتقاد به هل يخرج قائله من دائرة الدين؟ وكذلك قول المعتزلي (القرآن مخلوق)، وقول الخارجي (ان مرتكب الكبيرة كافر) وقول الشيعي (ان الامامة اصل من أصول الدين) هل تعتبر هذه المقالات وغيرها مخرجة عن الدين[٢].

فهذه أمثلة توضح عمل علماء الكلام في توصيف الألفاظ ومعانيها في كونها تدخل او تخرج عن الإسلام، فالبعض كفر المعتزلة بسبب قولهم بخلق القرآن، والخوارج بتكفيرهم الناس لعدم موافقتهم لآرائهم، وكذلك الشيعة لما يترتب على قولهم بكون الامامة اصل من أصول الدين، بهذه الأقوال او بغيرها من أقوال هذه الفرق، فالتكفير الواقع من قبل هؤلاء هو من سمات الغلو في الدين، وهو خروج عن مفهوم الوسطية التي هي من أهم سمات هذا الدين الحنيف[٣].

والعلماء المحققون لم يكفروا أحدا من أهل القبلة لان في أقوالهم وألفاظهم شبهة من القرآن والسنة، فمثلاً الإمام الباقلاني إمام المتكلمين حينما يذكر آراء المخالفين لمذهب أهل السنة لا ينسبهم إلى الكفر او الردة وانما يطلق عليهم ألفاظاً فيها معنى الخطأ والبدعة[٤].

وقد صرح السيد الشريف الجرجاني بعدم تكفير الفرق المخالفة لأهل السنة من الخوارج والشيعة والمعتزلة[٥].

والعلماء يؤكدون ان على المفتي، وهو الذي يتصدى للتوصيف الادائي من ألفاظ وكلام الناس، ان ينظر في قول القائل ان كان فيه شبهة، أي ان كان هناك وجوه توجب الكفر، ووجه واحد يمنع من الكفر فعلى المفتي ان يميل إلى هذا الوجه من باب حسن الظن بالمسلم[٦].

1

[٢] دراسات في الفرق: عرفان عبد الحميد، ص ٣٣- ٩٤ – ١٠٠.

[٣] الغلو في الدين: للويحقي، ص٢٦.

[٤] الانصاف: الباقلاني، ص٧٠.

[٥] شرح المواقف: الجرجاني، ج٨ ص٣٤٤.

[٦] الفاظ الكفر: محمد بن اسماعيل الرشيد، ص١.

وفي عصرنا هذا، نجد الكثير من مقالات هي حديثة في طرحها لأسباب كثيرة، وهي قديمة في مدلولها ومرجعها، مثل من يقول (ان الله في السماء)، او ان تارك ركن من أركان الإسلام كافر (مثل تارك الصلاة كسلاً كافر) او سب بعض الصحابة على لسان البعض من الشيعة والخوارج، هل هذه الأقوال وغيرها مخرج عن الإسلام ؟!

نقول ان هذه الألفاظ وغيرها عالجها العلماء المحققون قديماً وحديثاً، وكما قلنا هي ألفاظ حديثة في طرحها قديمة في مباحثها ومدلولها، فقد صرح العلماء كما ذكرنا بعدم تكفير أحد من أهل القبلة، مع ان المتلفظ بهذه الألفاظ قد وقع في خطيئة وبدعة، لكن لايصل إلى حد الكفر، لأن الكفر هو خروج عن دائرة الإسلام بأمر مقطوع فيه ليس فيه أي شبهة او احتمال والخروج من الدين ليس بأمر سهل او بسيط، يستطيع الإنسان بكل بساطة ان يوجهه تجاه أي مسلم، وإطلاق لفظ الكفر على أي شخص هو جزء من مفهوم التوصيف الادائي الذي عني به المتكلمون، لأهميته في دخول المسلم وخروجه عن الدين.

وإطلاق لفظ الكفر وتكفير الناس لمسائل خلافية، او لعدم مشاركة القائل في آرائه وأفكاره، هذا من السذاجة في فهم التوصيف الادائي للألفاظ الشرعية، وعدم فهم مدلولها وما تحتويه من معنى، وكذلك على التعصب او التطرف في فهم الدين المخالف لمفهوم الوسطية التي جاء بها الإسلام، والحرية التي حفظها الله تعالى بكتابه للناس، في تفكيرهم وحريتهم مادام لا يعارض أصلا من أصول العقيدة المعروفة لدى كل مسلم، وهذا ما أكده الكثير من العلماء المعاصرين فضلاً عن السابقين[1].

[1] كبرى اليقينيات: محمد رمضان البوطي، ص٢٤. والغلو في الدين: للويحقي، ص٢٦.

المبحث الرابع

موقف المتكلمين من الفصحى

وهذا الاعتماد من المتكلمين على اللغة معروف بداهة، فهم لا يشيرون بأقوالهم مصرحين بأنهم يعتمدون الفصيح من الأقوال والعبارات إذ واقع مؤلفاتهم يدل على أنهم ذوي عناية فائقة وكبيرة بهذا الجانب، فهدفهم من ذلك هو تبليغ العقيدة الصحيحة وهذا التبليغ يكون في أوج عظمته وقمة بهائه إذا كان موسوما بصفة الفصيح من اللغة العربية، ولقد نزل القرآن بلغة العرب لما فيها من حسن البيان والتبليغ، فهذا السيوطي يشير إلى أهمية اللغة الفصيحة في شدة البيان وسطوع الأسلوب حيث يقول: (وان كنت أردت إلى أن سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية، فهذا غلط، لأنا لو احتجنا إلى أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا بأسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة.. فأين هذا من ذلك؟ وأين سائر اللغات من السعة ما للغة العرب؟)[١].

لذلك قد توصف اللغة فتصل إلى حد الإعجاز وذلك لارتباطها بلغة القرآن كما ذهب إليه كبار المتكلمين وهو الإمام الباقلاني[٢].

ولا يخفى أن عقيدة المسلم منبعها القرآن الكريم، ولا ريب أن إعجازه وبلاغته تقوم على الألفاظ وعلاقتها بالمعاني فهي قائمة إذا على قضية النظم ونظرية النظم التي أوضحها الإمام عبد القاهر الجرجاني – رحمه الله – فهو يقول: (واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه)[٣] فلو حرص علماء الكلام على الإبلاغ والتبليغ بهذه العقيدة السليمة– في كل زمان وكل مكان– قديماً– حيث ظهور مختلف الأفكار والاتجاهات والمذاهب العقائدية و–حديثاً– بظهور لون اخر من هذه الأفكار المغلفة بأطر جديدة كتسهيل اللغة وتسهيل النحو وتشجيع العامية والمبطنة لضرب الدين والعقيدة عن طريق تغييب اللغة العربية – فلا غنى لهم عن اللغة لما تقدم، بمعنى أن أحد أركان توصيل العقيدة هو قوانين النحو وتراكيبه ودلالاته وذلك من تمام مباحث علم المعاني، أي أن كمال البلاغة وجودة أدائها يعتمد على جانبين:

الأول: ما يتعلق باللفظة المفردة.

الثاني: التركيب أو الجمل الكلامية.

---

[١] المزهر، للسيوطي ١/ ١٨٧.

[٢] الباقلاني وكتابه إعجاز القران، د. عبد الرءوف مخلوف ص١٤٣.

[٣] دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص١٢٣.

وقد سعى المحدثون من علماء الكلام في مصنفاتهم إلى توظيف هذه الناحية المهمة فنجد ان ما يخص المفردة المجردة فهي سائغة ومقبولة، وليست من الألفاظ الغريبة ولا من الألفاظ الوحشية، بل هي سهلة الاستعمال وعذبة المعنى وغير متروكة ولا مهجورة فضلاً عن كونها عصرية وحديثة، وبذلك تؤدي غرضها عند من يريد إيصال المفاهيم الكلامية.

وقد سبق الامام الجرجاني إلى هذا المعنى بقوله: وأما رجوع الاستحسان إلى اللفظ من غير شرك من المعنى فيه، وكونه من أسبابه ودواعيه، فلا يكاد يعد نمطا واحدا، وهو أن تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالهم، ويتداولونه في زمانهم، ولا يكون وحشيا غريبا، أو عاميا سخيفا[١].

وأما ما يخص الجملة أو التركيب، فهي أيضا محكومة بدواعي الفصاحة ومنها قيامها على القواعد العربية والنحوية الصحيحة، متينة في سبكها وقوية في أدائها[٢].

وقد تنبه الدارسون قديماً إلى أهمية اللغة ومرتكزاتها في توضيح الكلام واحتياج أهل الفتيا إليها، يقول ابن فارس: أقول ان العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب، حتى لا غناء بأحد منهم عنه، وذلك ان القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله ﷺ عربي، فمن أراد معرفة مافي كتاب الله جل وعز، وما في سنة رسول الله ﷺ من كل كلمة غريبة او نظم عجيب، لم يجد من العلم باللغة بداً[٣]، ويعضد ذلك قول ابن خلدون: وأركانها أربعة، اللغة والنحو والبيان والأدب، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب[٤] ونلحظ من كلام هذين العالمين الجليلين، بوجه عام اثر اللغة في الشرع وبوجه خاص في علم العقائد، وذلك لأن أول درجات التكاليف الشرعية، يكون بعد أن يدخل الإنسان ضمن العقيدة الإسلامية، ومن هنا يظهر ان حاجة أهل الكلام إلى اللغة أكثر ضرورة إذ من خلالها يفهم المسلم كل ما يتعلق بأصول العقيدة فيبني عليها بقية أمور الإسلام من عبادات ومعاملات وغيرها.

ثم اننا وجدنا من المتكلمين من خص كلمة التوحيد بمصنف مستقل ودراسة متينة* ويؤكد ذلك السنوسي بقوله: قد نص العلماء على انه لابد من فهم معناها – أي لا اله إلا الله – والا لم ينتفع بها صاحبها في الإنقاذ من الخلود في النار، ولهذا ينبغي أن يكون كلامنا فيها على سبيل الاختصار في سبعة فصول، الأول في إعرابها، والثاني: في بيانها، والثالث: في بيان معانيها، والرابع: في بيان

---

[١] أسرار البلاغة: الجرجاني ص ٣.

[٢] علم المعاني وسلامة التعبير العربي د. جليل رشيد فالح ص ١٤.

[٣] الصاحبي، ابن فارس ص٥٠.

[٤] مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون ص ٤٤١.

حكمها، والخامس: في بيان فضلها، والسادس في كيفية ذكرها على الوجه الأكمل الذي يذوق به ذاكرها جميع لذات محاسنها كلها أو بعضها على حسب ما يفتح الله له عند ذكرها من التخلية والتحلية، والسابع: في بيان الفوائد التي تحصل لذاكرها بالمواضبة عليها على الوجه الأكمل أن شاء الله تبارك وتعالى[١].

ولا نجانب الصواب إذا قلنا أن هذا الاهتمام بهذه الكلمة له دافعان:

الأول: محبة العقيدة الإسلامية من العربي وغيره.

والثاني: محبة اللغة العربية بكل جوانبها بحيث يربطونها بدقائق العقيدة الإسلامية الصافية.

ومن زاوية نظر أخرى فان علماء الكلام مع اهتمامهم باللغة قد كانوا موسوعيين في مصنفاتهم ومحققين فيها فضلا عن أفكارهم وطروحاتهم ومنذ بدء نشوء الآراء والمذاهب الكلامية ووصولا إلى التدوين في هذا الجانب انبرى لبيان العقيدة الصحيحة علماء اجلاء بذلوا ما لديهم من المكونات المعرفية وفي مقدمتها علوم اللغة بدءاً بالإمام أبي الحسن الأشعري إمام أهل السنة والجماعة حين ألف كتاباً جليلاً ضمن فيه أقوالاً لمذاهب شتى كالمعتزلة والخوارج والفرق الأخرى وسماه بـ(مقالات الإسلاميين) ونلاحظ من هذا العنوان اهتماماً بالأقوال خاصة، وهي أحد أدوات اللغة العربية، ومن هؤلاء المتكلمين أيضا الإمام السيد الشريف الجرجاني الذي برع في ميادين اللغة كلها، ففي علوم النحو وقواعده صنف حاشية على شرح الكافية وهي تعليقات على شرح رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي، وله شرح على الكافية يسمى بالشريفية*. وله أيضا حاشية عن شرح العوامل، للعلامة عبد القاهر الجرجاني وفي مجال الصرف، فلم يألُ جهدا فيه حيث وضع رسالة في التصريف تسمى (صرف مير)، وغيرها الكثير ككتاب التعريفات حيث ضم هذا الكتاب ألفاظا في العقيدة والفكر والنحو والصرف وغير ذلك وله في علم البلاغة أيضا مؤلفات منها: حاشية على المطول، وله شرح للمفتاح وغيرها * وهذا دليل واضح على سعة هذا العالم وهو من المتكلمين بعلوم اللغة وأداء الأداء الفصيح بكل حواشيه من دلالة وتراكيب صحيحة وفصيحة ونحى هذا المنحى

---

[١] أم البراهين، محمد ابن يوسف عمر السنوسي (ت ٨٩٥ هـ) ص٢٥٤وحاشية الدسوقي على شرح ام البراهين، محمد ابن احمد ابن عرفة الدسوقي ص ٢٥٥.

* مثل التجريد في إعراب كلمة التوحيد وما يتعلق بمعناها من التمجيد، للشيخ علي بن سلطان محمد القاري (ت ١٠١٤هـ)، والملحة في اعتقاد أهل الحق لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت ٦٦٠هـ). والفتحية، لقاضي زادة محمد أفندي وهو شرح لكلمات في بيان لا اله الا الله لمحمد أفندي البركوي (وهو مخطوط).

* كشف الظنون، حاجي خليفة ٨٩٨/١

الامام سعد الدين التفتازاني حيث ألف في علوم اللغة كلها وفي مقدمتها علم البلاغة، إذ ألف أهم مصنفات البلاغة المعتمدة ألا وهو مختصر المعاني وهو من اجل شروح (المفتاح) للسكاكي وغيره، وأما في مجال النحو فقد برع السعد، إذ له مؤلفات منها: الإرشاد وهو متن من المتون المعتمدة في التدريس في حلقات المساجد، وشهرته وبراعته كانتا سبباً في تلقيبه بسيبويه الثاني [*] وصنف شرحا فريدا في الصرف مشهورا على تصريف العزي.

ومن علماء الكلام أيضا الإمام الايجي، إذ له رسالة في علم الوضع وغيرها، ولاشك أنهم بذلك دعموا الفصاحة وعلوم اللغة.

وما عالجه هؤلاء المتقدمون عن طريق الفصاحة نجده في واقعنا المعاصر، إذ نجد مصنفات حديثة قائمة على أصول فصيحة ولغة قوية في نشر العقيدة، ومفاهيمها، ومنهم، الدكتور مصطفى سعيد الخن، والدكتور محمد رمضان عبد الله، والدكتور سفر الحوالي، والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، فضلا عن الاطاريح والرسائل الجامعية التي بحثت مسائل العقيدة بشكل مفصل، مستندة إلى الفصاحة واللغة السليمة، وهي منتشرة بكثرة في الجامعات الإسلامية في البلاد العربية وغير العربية وكلها تعمل من أجل بيان وإظهار عقوبة من يتلفظ بهذه الكلمات الخطيرة وان ذلك استهانة بالجمال والألفاظ وانه أداء غير صحيح، وذلك بحكم دلالة اللفظة العربية النابعة من عقيدة الإسلام في القرآن والسنة.

ولا يخفى علينا جميعا أن اللغة وعلومها وأنواعها هي وسيلة التدريس الأساسية في الكليات والجامعات الإسلامية، فهي تدرس في جميع المراحل الدراسية فيها وتعد مادة أساسية وهذا دليل على ركنية اللغة في تثبيت الشريعة ومن أهم أمور الشريعة هي العقيدة، فمدار فهمها بصورة صحيحة كون المدرس فيها عالما باللغة بارعا في أدائها بالفصحى واستخدام الجمل والألفاظ التي تحبب إلى الطالب عقيدته من خلال العرض الفصيح واللغة السليمة.

---

[*] مقدمة تحقيق (الإرشاد)، د. معن يحيى العبادي ص٢٠٧

الخاتمة:

بعد ان مضى البحث بكل ما فيه من عذوبة في مباحثه وجدة في موضوعاته نقول بعد هذا الكلام: إن الخوض في ميادين المعرفة الشرعية العلمية وخاصة هذا الذي نحن بصدد دراسته وهو لغة العقيدة ومنهج علماء الكلام في الإفادة من اللغة وتوظيفها في مكانها المناسب يعد طرحاً جديدا في فكرته ومبثوثا قديما في مادته، فاللغة بالنسبة لعلماء الكلام ملازمة لهم ولمصنفاتهم العقائدية ملازمة اعتبارية اكثر من كونها آلة محسوسة، فحينما نجد – مثلاً – الأصوليين يقولون ان أحد أركان الأصول هو اللغة ويسمونها بالمبادئ اللغوية، وهذا صريح الكلام لديهم، ونلحظ مثل ذلك أيضاً عند شراح غريب القرآن وغريب الحديث وغير ذلك وهكذا يمكننا إيجاد كثير من النصوص الدالة على أهمية اللغة ومصادرها، الا ان علماء الكلام يعدون اللغة عندهم أداة توصيل وتواصل عقائدي وهي قريبة من الناحية الفكرية سواء بالخط او اللفظ او التركيب وقد وجدنا نتائج أخرى في هذا البحث أهمها:

١- دفع كثير من الشبه والإشكالات القائمة على الفهم اللغوي لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهي أمور برزت في عصرنا الحالي وهي من المخلفات الفكرية التي كانت موطنا للبحث والنقاش بين علماء الكلام من أهل السنة وغيرهم من المذاهب الكلامية والفكرية ومنها مسالة مفهوم التأويل.

٢- بدا من الضرورة المسلمة وضع مصنفات عصرية في علم العقيدة تبين من خلالها المفاهيم الكلامية بأسلوب سهل المأخذ وميسر الفهم لكل شرائح المجتمع بحيث يؤخذ بنظر الاعتبار المجتمعات غير الإسلامية كذلك.

٣- تجنب اللغة المعقدة والتراكيب الفلسفية والمنطقية التي من شأنها إبعاد الذهن لكثير من المسلمين عن المقصود الأصلي من التصنيف في علم الكلام.

٤- ان اللغة العربية الفصحى لا بد ان تكون السلاح الأقوى في ميدان تبليغ العقيدة، إذ هي لغة القرآن وفي القرآن صلاح المجتمع وتماسك الأفراد، فضلاً عن عز الإسلام ومحبة الدين.

٥- ان علماء الكلام في مصنفاتهم قديما وحديثا ضربوا بيد من حديد على كل من يسعى لتمزيق الدين من خلال تغييب اللغة وذلك عن طريق الأسلوب الفصيح والبعد عن الابتذال في الجمل الكلامية العقائدية.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- اختيارات الجرجاني الكلامية. وليد جبار إسماعيل العبيدي (رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الفكر الإسلامي والدعوة والعقيدة الإسلامية، الجامعة الإسلامية، بغداد، سنة ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م).

٣- أسرار البلاغة. عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني،(طبع في بيروت، ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م).

٤- أم البراهين.. محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي (ت ٨٩٥هـ ١٤٨٩ م) (ط ١ دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠١م)

٥- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به. أبو بكر ابن الطيب الباقلاني. تحقيق محمد زاد الكوثري (ط٢ مؤسسة الخانجي، سنة ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م)

٦- الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن. د. عبد الرؤوف مخلوف (منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، ١٩٧٨م).

٧- تاريخ الأدب العربي لبروكلمان. نقله إلى العربية د. حسن محمود إسماعيل (مطابع الهيئة المصرية العامة، ١٩٩٥ م).

٨- التجريد في إعراب كلمة التوحيد وما يتعلق بها من التمجيد. للشيخ علي بن سلطان محمد القاري (ط١، دار عمار، الأردن، سنة ١٩٩٩م)

٩- التفتازاني منهجه في شرح النسفية. وليد جبار إسماعيل العبيدي (رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الفكر الإسلامي والدعوة والعقيدة الإسلامية، الجامعة الإسلامية، بغداد، سنة ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م).

١٠- تفسير الرازي (مفاتيح الغيب). فخر الدين عمر بن محمود الرازي (طبع بمطبعة بولاق سنة ١٢٧٨ هـ)

١١- تفسير الكشاف. جار الله محمود بن عمر الزمخشري (طبع بمطبعة القاهرة سنة ١٣٥٤هـ)

١٢- حاشية الدسوقي. محمد بن عرفة المصري (ط ١ دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠١م)

١٣- حرية الاعتقاد في ظل الإسلام. د. تيسير خميس العمر (دار فكر دمشق ط ١ / ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م)

١٤- الخصائص. لأبي الفتح عثمان بن جني، (طبع بمطابع بغداد سنة ١٩٩٠ م)

١٥- دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية. د.عرفان عبد الحميد، (دار التربية، بغداد ١٩٧٧)

١٦- دلائل الأعجاز. عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (طبع بمطابع بيروت ١٩٧٨ م)

١٧- شرح النسفية. مسعود بن عمر التفتازاني (ط ١ الشركة العثمانية للطباعة، سنة ١٣٢٦ هـ)

١٨- شرح المواقف. علي بن محمد الجرجاني (ط ١، مصر سنة ١٣٢٥ هـ)

١٩- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. لأبي الحسين احمد بن فارس (طبع بمطابع بيروت ١٩٩٣ م)

٢٠- العقيدة الإسلامية. د. مصطفى سعيد الخن ومحي الدين ديب (ط٥، دار الكلم الطيب دمشق، سنة ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤م)

٢١- العقيدة الإسلامية. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (دار القلم، بيروت ط١٢ – ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٠م).

٢٢- العقيدة الطحاوية. أبو جعفر احمد بن محمد بن سلامة المصري الطحاوي.(ط١) دائرة التعليم الإسلامي في ديوان الوقف السني – بغداد –٢٠٠٦ م

٢٣- الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة. عبدالرحمن بن معل اللويحقي (ط٥ مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان سنة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩ م).

٢٤- القرآن والفلسفة. د. محمد يوسف موسى (ط٤، دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٨٢م)

٢٥- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. حاجي خليفة (ط١ بيروت، بدون تاريخ).

٢٦- كبرى اليقينيات الكونية. محمد سعيد رمضان البوطي (ط ٦ دار الفكر سنة ١٣٩٩هـ)

٢٧- لسان العرب. لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (طبع بمطابع بيروت)

٢٨- اللطائف الربانية شرح العقيدة الطحاوية. للعلامة محمد بن ياسين بن عبد الله الموصلي (مطابع دائرة التعليم في ديوان الوقف السني، بغداد ٢٠٠٦م)

٢٩- المزهر في علوم اللغة وأنواعها. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. (دار الجيل بيروت).

٣٠- معجم المطبوعات العربية والمعربة. يوسف اليان سركيس (بيروت ١٩٢٨م).

٣١- مقايس اللغة. لأبي الحسين احمد بن فارس (طبع بمطابع بيروت ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٠ م)

٣٢- مقدمة ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (دار صادر، بيروت ط٢ – سنة ٢٠٠٥ م).

٣٣- الملحة في اعتقاد أهل الحق، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ط١ دار الفكر المعاصر بيروت، ١٩٩٥م)
٣٤- المواقف. عبد الرحمن عبد الغفار الايجي (عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ).

المخطوطات:

١- ألفاظ الكفر. محمد بن إسماعيل بن محمود بن الرشيد، مكتبة الأوقاف نينوى، مدرسة حسن باشا برقم (٢٥/٤١) ومخطوط في برلين برقم ٢١٣٨ ذكره ابروكلمان في تاريخه ج/١١
٢- الفتحية. لقاضي زاده محمد أفندي. وهو شرح لـ (كلمات في بيان لا إله إلا الله) للبركوي، وهو مخطوط في مكتبة الأزهر.

الدوريات:

١- الإرشاد، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩١هـ). تحقيق د. معن يحيى العبادي، مجلة الرافدين، كلية الآداب جامعة الموصل العدد(٤٠) سنة (١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م).
٢- التأويل النحوي في النحو العربي. د. علي أبو المكارم، مجلة كلية المعلمين – الجامعة الليبية، العدد (٢) ١٩٧١م.
٣- علم المعاني وسلامة التعبير العربي. د. جليل رشيد فالح، مجلة الجامعة، جامعة الموصل، العدد(٨) سنة (١٩٨٠م).

Language treatments for intellectual problems
And contemporary ideology

Dr. Walid Jabbar Ismail   Dr. Abdul Karim Ali Omar

Abstract

It is no secret to every learner the close relationship between the Arabic language and other sciences. Among the most important of these sciences is the science of belief, which is the basis of commissioning, and the basis of religious concepts, and the need of society in every time and place of this science is never relegated, and it grows and grows when this science is supportive of the language Arabic, by highlighting its impact on belief in the days of intellectual and ideological attacks on this religion and its language abound.